

دراسات محكمة

دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس
هوبز السياسي:
أوفي الرّهان النظري للسياسة الحديثة

الحسين أخدوش

باحث أكاديمي ومترجم مغربي

17 يونيو 2021



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

تمهيد الموضوع:

لماذا توماس هوبز تحديداً وليس غيره من فلاسفة الحداثة السياسية؟ يتوقع من قارئ هذا المقال أن يثير هذا السؤال، تحديداً نوعية العلاقة بين هذا المفكر الحديث وواقعنا الثقافي المغربي المعاصر. وذلك لأنّه يظهر للوهلة الأولى أنّ لا علاقة بيننا وبين فكر توماس هوبز تاريخياً وثقافياً؛ اللهم إذا كنا أردنا المجازفة بإسقاط نموذج الفكري على واقعنا الراهن؛ إذ كيف لمحاولة فكرية تنتمي إلى شروط نظرية ومنهجية تخصّ زمن القرن الثامن عشر في أوروبا أن تفيدنا في فهم واقعنا؟

كيفما كان السؤال حول طبيعة أفكار هذا الفيلسوف، فإنّها تكتسي قيمة ابستمولوجية كبيرة في فهم ماذا حدث مطلع العصر الحديث حين القطع مع التقليد النظري القروسطي للسياسة والفكر المدني. فالمعروف أنّ العلم الجديد للطبيعة والفلك والرياضيات قد تمكّن من شقّ طريقه للتأسيس العقلاني مع غاليلي وديكارت وكبلير ثم قبلهم كوبرنيك الذي دشّن للثورة العلمية الحديثة. وقد أفاد هذا الانتعاش الجديد للعلوم النظرية والفكر العقلاني الجديد الفيلسوف هوبز في بلورة نمط تفكير مختلف في السياسة والأخلاق عماده النموذج الآلي السببي الناشئ.

في مقابل هذا الحراك العلمي والمعرفي الأوروبي، لم يشهد الفكر العربي والإسلامي أي نشاط مثمر في هذه الحقبة التاريخية، اللهم بعض الأحداث البسيطة، سواء من الناحية التاريخية (تميزت فترة القرن السابع عشر بسيطرة العثمانيين على المنطقة العربية، وصاحب ذلك من ابتزاز وصراعات وتراجع دور الثقافة العربية حتى مع صعود النظام المملوكي في مصر)، أو الثقافية (سيادة الاجترار في مختلف مناحي الثقافة والعلم والفقهاء)، والسياسية (الاستبداد العثماني والمملوكي والسلطاني وسيادة الإقطاع)، للبحث عن تأسيس نموذج كيان سياسي ومدني يستجيب لخصوصياتنا الحضارية.

وتظهر المقارنات بين الحالتين الأوروبية والعربية في فترة القرن السابع عشر حركية ثقافية علمية نظرية فكرية ومنهجية جرّاء استتبعات الثورة الكوبرنيكية المستجدة في أوروبا في مختلف مناحي الحياة، ويوازي ذلك في الضقة



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

الجنوبية سيادة الجمود ودخول الثقافة العربية فيما يمكن أن يطلق عليه حالة الشرود والتراجع على مختلف الأصعدة. لذلك، سوف نجازف بالقول بأنّ الحالة العربية السائدة زمن توماس هوبز هي ما تكون عن طرح الإشكالات المنهجية والنظرية التي سوف تشغل هذا الفيلسوف.

لكن، كيف يمكن إسقاط نظرية هوبز في السياسية وكذا مفهومه للدولة على واقعنا العربي؟ هل يمكن الحديث لهذا الإسقاط عن مشروعية تاريخية نظرية وصلاحيّة منهجية؟

لبحث هذه الإشكالية، يلزمنا قبلًا تحديد مكانة فكر هذا الفيلسوف ضمن سياقه النظري، ليتسنى لنا معرفة قيمته وصلاحيته ومن ثمّ إمكانية معرفة حدود اتخاذه نموذجًا فكريًا لمقاربة السؤال السياسي (والدولة) في سياقنا المغربي. لكن، كيف يمكن موضعة فكره هذا الأخير ضمن تاريخ الفكر النظري؟ وما هذا الشيء الذي أنجزه هوبز ويمكن أن يكون له الفضل في مقاربة إشكالية الدولة المدنية في سياقنا الثقافي الراهن؟



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

1- في مكانة نموذج توماس هوبز في تاريخ الفكر العقلاني الحديث

يَعْتَبِرُ توماس هوبز¹ من المفكرين المحدثين المهتمين بمفهوم الدولة المدنية والحق الطبيعي «Droit Naturel» في مطلع الفلسفة السياسية الحديثة لبداية القرن السابع عشر. فبينما كان سعي فلاسفة القرن السابع عشر متوجّها نحو تأسيس نظرية فلسفية للمعرفة، تتماشى والمستجدات العلمية والنظرية التي تمخضت عن الثورة الكوبرنيكية. لقد انصرف جهد هؤلاء في ذلك العصر إلى البحث عن كيفية إصلاح العقل وتجديد منهجه، وذلك حتى يواكب مستجدات الثورة النظرية والمنهجية لتلك الفترة التاريخية، مثلما فعل الفيلسوف ديكارت.² غير أنه، وفي غمرة هذا البحث النظري والمنهجي المبدول من طرف مفكري هذه الفترة التاريخية، قام هوبز بصرف فكره إلى أمور السياسة والاجتماع خلافا لما كان يحظى بالأولوية في ذلك الزمن من أمر العلم الفيزيائي والمعرفة العقلية. لقد قام صاحبنا بذلك دونما الخروج عن براديجم النزعة الطبيعية الآلية المستشرية في أوساط فلاسفة القرن السابع عشر يوم ذاك، فلم يستطع، من جهته، أن يقاوم تأثير نموذجية علم الفيزياء الناشئ على مقاربتة للقضايا الأخلاقية والسياسية خاصة، وللإجتماع البشري بصفة عامة.

كان هوبز يعتبر الدولة جسما حيث يمكن إخضاعها لنفس الطريقة التي تتعامل بها مع باقي الأجسام الفيزيائية الأخرى حين دراستها. لذلك أخضع دراسة مسائل السياسة لهذا التوجه الفلسفي الجديد القائم على النزعة

¹ - Thomas Hobbes (1588 م إلى 1679 م) فيلسوف إنجليزي حديث درس بجامعة Oxford حيث تخرّج منها، كانت اهتماماته موزعة بين دراسة اللغات القديمة والفلسفة والعلم الحديثين. عاصر كلا من "ديكارت" و"غاليلي" الذين أثرا في عصره. نشر القسمين الأساسيين من مذهبه الفلسفي عن "الجسم" و "الإنسان" بين عام 1655 م و 1658 م. لكن يبقى كتاب «the Leviathan» الذي ظهر في لندن أول مرة سنة 1651 م وهو أهم مؤلف له في مجال الفكر السياسي. وقد ترجم إلى العربية عدّة ترجمات غير أنّنا اقتصرنا على ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، الطبعة الأولى، نشرة كلمة ودار الفارابي للطبع والنشر، بيروت، 2011.

² المعروف أن أبحاث الفيلسوف ديكارت (1596 م إلى 1650 م) في هذه الفترة كانت كلها تتمحور حول العلم الجديد الذي بدأ يتشكل في تلك الفترة؛ أي الفيزياء كعلم يبحث عن تأسيس جديد وفق تلك المعطيات النظرية للثورة الفلكية التي أحدثتها أبحاث كل من: Copernicus و Kepler ثم Galilée في دراسة قوانين الحركة. فقد كتب ديكارت كتاب العالم «Le monde» سنة 1633 خصّصه للدفاع عن الرؤية العلمية للعالم بعيدا عن التصورات التقليدية الأرستطية والكنسية، غير أنه لم ينشره في وقته خوفا من اضطهاد الكنيسة له. ثم ألف أيضا كتاب: "مقال في المنهج «Discours de la methode» سنة 1637 بالفرنسية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية عدّة مرات كان أهمهما ترجمة جميل صليبا بعنوان: "مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم"، بيروت، عن اللجنة الدولية لترجمة الروائع، سنة 1953. ثم صدرت ترجمة أخرى أظنها أحسن وأغنى بحواشيا وشروحا في الهامش للمترجم عمر الشارني عن المنظمة العربية للترجمة تحت عنوان: "حديث الطريقة"، في طبعته الأولى لسنة 2008. وجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان مرفوقا في أصله بثلاثة دراسات علمية حول: البصريات، والهندسة، والآثار العلوية، وهي كلّها دراسات لم تترجم بعد. ثم بعد ذلك نشر ديكارت كتابه الأساسي: تأملات ميتافيزيقية «Méditations métaphysiques» سنة 1641.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

الطبيعية الآلية. وقد تجسّد ذلك لديه بشكل واضح حين اعتبر أنّه بفهمنا للطبيعة البشرية بصورة آلية، نكون عند ذلك قد استطعنا أن نغيّرها ونتغلب عليها باستخدامنا للمنهج العقلاني، تماما مثلما فعل ديكرت في دراسته النظرية لانفعالات النفس لدى الإنسان.³

قام هوبز، في ظل هذا المناخ الفكري المتّسم بغلبة المنهج العقلاني، على تأسيس فلسفة سياسية عقلانية من خلال أسس ودعائم النزعة الآلية الناشئة في أواخر القرن السابع عشر. ولقد ساهمت تصوراتها المادية للطبيعة الإنسانية في تجاوز المنظور القروسطي العتيق للسياسة والأخلاق معا، حيث عمد إلى ربط الانشغال بالسياسيات بالمقتضيات النظرية والمنهجية للمعرفة الفيزيائية الناشئة، وخصوصا بالطبيعة الإنسانية التي نظر إليها في زمنه على أنّها طبيعة عقلية وفكرية بالأساس.⁴

ولقد فتح بهذه المجاوزة نقاشا فلسفيا جديدا بصدد مجموعة من المفاهيم الأخلاقية والسياسية التي كانت حكرا على الأوساط الدينية والأرستقراطية لعصره مثل: الحق، القانون، المجتمع، الحكومة، العدالة الخ. غير أنّ العودة إلى تصوراتها بهذا الخصوص لا تكمن أهميتها فيما تتيحه من فهم للحياة المدنية الاجتماعية والسياسية فقط؛ وإتّما أيضا في ما تكشف عنه من دلالات وأبعاد تاريخية وابستمولوجية أفضت إلى تبلور نقاشات نظرية فلسفية حديثة حول الإنسان باعتباره فردا واعيا داخل مجتمعه.

والواقع أنّ ذلك كان من إفرافات الثورة الكوبرنيكية التي أفضت قيام مفهوم الذات المفكرة الواعية بذاتها وبالعالم الذي توجد فيه، والتي صاغ إطارها الميتافيزيقي ديكرت بشكل مخالف لما جرى عليه التقليد الأرستقراطي المتراجع أمام

³ آمن هوبز بضرورة فهم الطبيعة البشرية وفق الفهم الطبيعي الآلي، إذ بهذا الشكل من الفهم نستطيع أن نغيّرها ونتغلب عليها باستخدام المنهج العقلي الذي يقدر على تزويدنا بوسائل توجيه الخوف والانفعالات السلبية.

⁴ بخصوص هذه النقطة تحديدا، كان هوبز بشكل عام متفقا مع التراث الذي يمتدّ حتى سقراط، والذي يرى أن أهداف الحياة الأخلاقية والسياسية وطابعها، تتحدّد عن طريق الرجوع إلى الطبيعة الإنسانية. لكنّه، بالمقابل، حدّد الطريقة التي تضع بها الطبيعة المعايير للسياسة بشكل مختلف تماما عن هذا التراث؛ حيث عمد إلى تأسيس نظرية خاصة به عن فكرة "حالة الطبيعة" مستمدة من انفعالات الإنسان وذلك لما تجاوز تلك المشكلة السيكلوجية القديمة القائلة بوجود طبيعة عقلية ومدنية سابقة لدى الإنسان. أنظر بهذا الخصوص: ليو شتراوش وجوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية (مادة توماس هوبز)، ترجمة محمود سيد أحمد؛ مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، ج 1، المشروع القومي للترجمة؛ 809 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

طموح العلم الجديد في القرن السابع عشر.⁵ استخلص هوبز ما يترتب عن هذا المستجد النظري (ظهور مفهوم) من القضايا العملية السياسية والأخلاقية، فعمل على بحث وضعية الإنسان داخل الحياة المدنية والاجتماعية من خلال تأسيس فلسفي عقلاني جديد للسياسة، بحيث تقوم على أساس علمي صرف.⁶ عمّد هوبز، لأجل هذه المهمة النظرية، إلى تجاوز فكرة أرسطو حول كون الإنسان حيوان مدني بطبعه؛ وذهب بخلاف ذلك إلى ما اعتبر الحالة الطبيعية أولى من الحالة المدنية التي تنشأ عن إدراك الإنسان لقوانين العقل وشرور الحالة الأولى الدالة على الانفعالات القابضة في أعماقه، والتي تفرض عليه التصرف في أغلب الأوقات وفقا لألياتها الحيوية لتشكل طبيعته الخاصة.

أولى هوبز اهتمامه لدراسة هذه الانفعالات، مكتشفا أن الدوافع الحقيقية للسلوك الإنساني إنما تكمن في تلك الميول المشكلة لطبيعته البشرية التي تستوجب الدراسة العلمية والسياسية، وذلك لأجل اكتشاف عناصرها الأولية البسيطة التي يمكن أن تتحلل على ضوءها القوانين السياسية والأخلاقية الضرورية لقيام الجسم السياسي (الدولة). لذا، اهتم هوبز بالطبيعة الإنسانية التي طالما اعتبرها ضرورية لاكتشاف العناصر الأولية، والبسيطة التي تسمح بأن تعالج على ضوءها بعض القواعد والقوانين السياسية.⁷

هكذا، غدت فكرة "حالة الطبيعة" المستمدة من تصورات هوبز حول الميول الإنسان، منطلقا نظري المعالجة المشكلة السيكلوجية القديمة المتمثلة فيما إذا كان الإنسان بطبعه كائنا سياسيا واجتماعيا. فلما حدّدت الفلسفة السياسية الكلاسيكية الإنسان بكونه حيوانا عاقلا وسياسيا، فقد وقعت في خطأ شنيع حيث يلزم من

⁵Alain de Libera : Archéologie du sujet ; éd Vrin. Paris, 2010. p 33

⁶ بالنسبة لـ "هوبز"، كما بالنسبة لـ "ميكافيلي" قبله بقليل، فقد أخفق الفلاسفة السياسيون الكلاسيكيون فيما ذهبوا إليه من أفكار سياسية وأخلاقية، وذلك لأن هدفهم كان مثاليا وبعيدا جدّا عن الواقع لما سنوا قوانين أخلاقية لدول خيالية، مثل أنموذج الجمهورية لأفلاطون. يؤكد هذا التجديد لدى هوبز الباحث (Jaques chamberland) أنظر بهذا الخصوص أطروحته للدكتوراه من جامعة موتريال تحت العنوان التالي:

— Jaques chamberland : Le cantus chez Hobbes, thèse de doctorat en philosophie, Op. cite. P 312

⁷«Nous avons considéré la nature humaine autant qu'il était nécessaire pour découvrir les premiers et les simples éléments dans lesquels les règles et les lois de la politique peuvent se résoudre, et c'est le but que je m'étais proposé.» T. Hobbes: «De la nature humaine», op. Cite, p.118.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

هذا القول أنّ يكون بمقدور جميع البشر العيش في إطار حياة مدنية سابقة وأصلية، حتى من دون تعاقدات أو عهود مبرمة فيما بينهم.⁸

ولمّا كانت حالة الطبيعة تفرض القول بأن الكائن البشري لم يكن بطبعه كائناً سياسياً ولا اجتماعياً، حيث من المفترض أن تكون المجتمعات البشرية قد مرّت من الحالة الفوضوية قبل المرحلة الاجتماعية والسياسية،⁹ فإنّ للمسألة التاريخية أهمية كبرى بالنسبة لفهم وضعية التعاقد الجديدة المترتبة عن تجاوز الحالة الطبيعية. لذلك، فحالة الطبيعة المقصودة في حديث هوبز عن الحق الطبيعي ليست، في واقع الأمر، سوى فترة تاريخية مفترضة نظرياً ومنهجياً لتحليل مختلف الدوافع والانفعالات التي من شأن فهم آليات اشتغالها المساعدة على تأسيس المجتمع المدني التعاقدى. فالدوافع الطبيعية (الغرائز والأهواء) ميكانيزمات طبيعية تقبع في انفعالات النفس، حيث يسمح تحليلها وتفسيرها الوقوف على منبع الشعور بالحاجة إلى المجتمع المدني (الحكومة)، أي تلك الطبيعة البشرية العدوانية المتأصّلة في البشر.

كان مقصود توماس هوبز من فرضية حالة الطبيعة بحث الميول الطبيعية الموجودة في أعماق الإنسان، التي عندما ننطلق منها لبحث المسائل الأخلاقية لدى الإنسان نكتشف أنّها الميول التي تدفع الناس للتصرّف بوحشية وخوف وكبرياء.¹⁰ وانطلاقاً من ذلك، أولى هوبز بحث الطبيعة الإنسانية أهمية قصوى لتأسيس الجسم السياسي (الدولة المدنية)؛ وقد اعتبر معرفتها، واكتشاف حقيقتها، مسألة ضرورية في صياغة تصوّر عقلائي واضح وواضح بعناصر الحق الطبيعي، وكذا بالسياسة والأخلاق بشكل عام. فلكي نُكوّن فكرةً واضحة لعناصر الحق الطبيعي والسياسة، فإنّه يلزم معرفة طبيعة الإنسان، بل ومعرفة ماذا يعني الجسم السياسي؟ وماذا يعني بالقانون.¹¹

⁸ État de nature, Dictionnaire de philosophie, Noëlla Baraquin, Paris, Armand-Colin, 2007

⁹ État de nature, Dictionnaire de philosophie, Christian Godin, Paris, Fayard, 2004

¹⁰ أنظر: تاريخ الفلسفة السياسية. الجزء الأول، مرجع سابق، ص 577

¹¹ « Pour se faire une idée claire des éléments du droit naturel et de la politique, il important de connaitre la nature de l'homme, de savoir ce que c'est qu'un corps politique et ce que nous entendons par loi. » T. Hobbes: «De la nature humaine», op. Cite. P 43



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

ولأجل هذه المهمة صاغ هوبز فكرته عن "الطبيعية الإنسانية" كفرض عقلي ونموذج معرفي يمكن أن تُقاس به مختلف الإضافات الأخلاقية والمدنية التي سوف تُنضَفُ إلى الحالة الطبيعية الأولى.¹² والظاهر أنه يمكننا أن نعتبر هذا المسلك، في تحليل هذا الفرض العقلي، بمثابة نموذج "الفراغ" النظري المحض الذي ينبغي أن يؤدي في مجال الأنثروبولوجيا ما كان يؤديه أنموذج "الفراغ" في مجال الفيزياء الحديثة حين البرهنة على حركة الأجسام التي تسقط في وسط فارغ.¹³

لذلك، يُعدُّ بحث انفعالات النفس وميولها محاولة منه للنفاذ إلى خصوصيات الطبيعة الإنسانية لأجل تأسيس الحق الطبيعي تأسيساً طبيعياً. ويوجد لدى هوبز هذا النزوع النظري القوي لتأسيس فيزياء خاصة بالطبيعة الإنسانية،¹⁴ بحيث تختص بدراسة سلوك الإنسان المدني من مدخل سياسي عقلائي، وتسمح في ذات الوقت بفهم موضوعي للكيفية التي تؤدي بها انفعالاته الشعورية وميوله الطبيعية إلى التنازع والمنافسة والحرب مع غيره، ومن جهة أخرى إلى البحث عن الاتفاقات والتعاقدات التي من شأنها أن تجنّب الانقراض والهلاك بالبحث عن السلم والأمن.¹⁵

أفضى هذا التحليل الفيزيائي للطبيعة الإنسانية لدى هذا الأخير إلى استخلاص نتيجة نظرية ومنهجية معا، تقول بحتمية قيام التعاقد السياسي بين البشر لأجل استمرارهم في الحياة. لذلك فإنّ عملية التنازل عن الحق الطبيعي المطلق، هو ما يسمح بفسح المجال لقيام الهيئة السياسية التي ستتولى تسيير أمور الناس وتديريها تفاديا للفتاء

¹² غالبا ما يدعو هوبز أن نفهم السلوك البشري بالوقوف على الطريقة التي تعمل بها الأهواء والانفعالات التي تقبع في طبيعتنا البشرية، والتي تدفعنا للقيام بتلك السلوكيات التي نقدم على فعلها، وتكون عبارة عن ميكانيزمات نفسية للبحث عن حالة السلم انطلاقا من الخوف والأمل. أنظر بهذا الخصوص كلامه في أسباب نشوء الدولة وقيامها، الفصل السابع عشر من الليفيتان، الترجمة العربية، ص 175.

¹³ أنظر بهذا الخصوص مقال عبد العزيز لبيب، المنشور في مجلة التفاهم تحت عنوان "نظرية العقد الاجتماعي من هوبز إلى روسو، العدد 39، شتاء 2013.

¹⁴ نستخدم عبارة "فيزياء الطبيعة الإنسانية" للإشارة إلى أهمية المقاربة الطبيعية والزعة الآلية التي اعتمدها هوبز في دراسة وتحليل انفعالات الإنسان الطبيعي.

¹⁵ يجب التأكيد على أن الغريزة من خلال الانفعالات والميول، هي نفسها التي تحمل إنسان الطبيعة على المنافسة والحرب مع أقرانه، وفي نفس الوقت هي التي تحمله كذلك على الإذعان للخوف والرعب من الموت جراء الحرب الدائمة. لذلك كان من الضروري البحث عن حل ثالث أقل خطورة وأكثر أمانا من حال الطبيعة المرعب.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

الجماعي.¹⁶ ولعلّ من الدلالات العميقة لهذه النتيجة أن تحدّد وجود الإنسان لا على أنّه حيوان سياسي بطبعه، كما كانت السياسة المدنية الكلاسيكية تقول بذلك سابقاً؛ بل أساساً على أنّه كائن طبيعي حرّ¹⁷ قادر على تأسيس حياة مدنية مشتركة بينه وبين غيره، نتيجة خوفه من الضرر الكبير الذي قد يلحقه جرّاء تمسّكه الأناني بحقه الطبيعي المطلق.

ولئن كان الاجتماع الإنساني يشترط تنازل أفرادهِ عن حريتهم المطلقة التي هي حق طبيعي لهم، وذلك لصالح إنشاء جسم سياسي يكون بديلاً عن حالتهم الطبيعية الأولى؛ فلأنّ الفكرة السياسية التي يمكن أن تمكّنهم من التعايش هي حتمية التعاقد المدني القاضي بضرورة أن يمنحوا جميعهم كلّ قوتهم لصالح شخص واحد هو العاهل، أو لصالح مجلس من النواب الممثلين لهم، بحيث يكون ذلك سبيلاً عقلانياً لاختزال إرادتهم إلى إرادة واحدة أقوى وأصلح عن طريق التصويت بالأغلبية.

ولعلّ ما يعنيه ذلك، أنّ تعيين شخص واحد أو مجلس نواب واحد يحمل شخصية كلّ مواطن منهم على أن يعترف أنّه، نفسه، صاحب كل تلك الأفعال التي يقوم بها (أو يتسبب في عملها حامل هذه الشخصية) في الشؤون ذات العلاقة بالسلام والأمن العامّين. لذلك سوف يلزم من هذا الأمر أن يلغي جميع الناس إرادتهم أمام إرادة الحاكم المطلق الذي تعاقدوا على أن يسوسهم وفق تعاقد مسبق، بالتالي يلزم إسقاط أحكامهم الفردية أمام حكمه.

¹⁶ يمثل الخوف من الموت في تحليل هوبز لانفعالات الإنسان الباعث الأساسي الذي يدفع الناس إلى التنازل عن حقوقهم الطبيعية، ومن ثمّ التفاوض لأجل التفاهم والتعاقد بينهم لتأسيس الجسم السياسي القادر على رعاية حالة السلم بينهم. يسمي هذا التنازل الناجم عن الخوف من الفناء الشامل، جرّاء حرب الكل ضد الكل، حالة تنازل جميع الأفراد عن الحقوق الطبيعية المطلقة لصالح طرف ثالث يمثّل مجموع القوى الممكنة، أي الدولة القوية الراعية والساخرة على تنفيذ بنود التعاقد السابق دون أن تكون هي مقيّدة بعهد آخر غير حفظ السلم والأمن بين رعاياها. أنظر كتاب الليفيّتان، الترجمة العربية، الفصل السابع عشر: في أسباب نشوء الدولة وتعريفها، ص 175.

¹⁷ جدير بالذكر أنّ تحديد مفهوم الحرية كما يستعملها توماس هوبز لا ينفصل عن الفكرة الفيزيائية السائدة حول الحركة في القرن السابع عشر، حيث اتخذ معناها دلالة التضاد مع مبدأ العطالة كما جاء به غاليلي. =لذا يرى هوبز أنّ الحرية، حسب الدلالة الصحيحة لهذه الكلمة، هي غياب العوائق الخارجية: تلك العوائق التي تعطل أحياناً جزءاً من قوة الإنسان لعمل ما يريد، ولكنها لا تستطيع منعه من استعمال القوة المتبقية في حوزته حسب ما يمليه عليه حكمه وعقله. أنظر هذا الخصوص تعريفه للحرية في كتاب الليفيّتان حين صرّح: "وأعني بالحرية، وفقاً لمعنى الكلمة الصحيح، غياب المعوّقات الخارجية؛ وهذه المعوّقات قد تذهب غالباً بجزء من قوة الإنسان على فعل ما يريد..."، مأخوذ من الترجمة العربية، مرجع سابق. ص



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

يمثل هذا أكثر من الاتفاق والوفاق؛ بل إنّه ما يشكّل وحدتهم الحقيقية متمثلة في شخص واحد. إنّها وحدة تنتج عن اتفاق كل شخص مع الشخص الآخر، بالشكل الذي يمكن للواحد أن يقول للآخر: أخول هذا الشخص أو ذاك المجلس، وأتنازل له عن حقي في حكم نفسي، وذلك شريطة أن تتنازل عن حقلك له وأن تصادق على أعماله مثلي. وعندما يتم هذا الاتفاق بهذا الشكل، فإن الجمهور الذي اتحد في شخص واحد يسمى المجتمع أو الدولة باللاتينية «Civitas» الشيء الذي يخلق التنين أو ما سيسمّيه هوبز بالوحش الكبير، أو بعبارة أخرى تدل على صيغة المبالغة: هذا الإله الفاني الذي نكون نحن المواطنين مدينين له على سلامنا وأمننا.

هكذا، نشأت الدولة من رحم التعاقدات التي تمّت بين الحاكم الأسمى (العاهل) ومجموع الأعضاء المشكّلين للجماعة المدنية (الرعايا)، وذلك للمحافظة على السلم واستمرارية الجسم السياسي (الدولة). لكن، ما هي أهم الدلالات المستفادة من هذه التأسيسية النظرية للدولة والسياسة معا في نموذج توماس هوبز النظري للاجتماع المدني؟

1. في قيمة التأسيس العقلاني للسياسة في النموذج الفلسفي لتوماس هوبز

لقد سبق وأن عرّف هوبز الدولة بكونها شخصية واحدة، تنتج عن الاتفاقيات المتبادلة التي صادق كل فرد من الجمهور على أعمالها، لكي يتسنى لها استخدام قوتهم ووسائلهم جميعا من أجل السلام والأمن العامين.¹⁸ بيد أنّ ما يكشف عنه هذا التعريف هو أنّ الدولة بما هي جسم سياسي هي تجسيد واقعي لسلطة قويّة ومطلقة: سلطة الحاكم القوي. يبقى المواطنون في مقابل ذلك مجرد رعايا يلزمهم التنازل بموجب التعاقد المبرم عن كلّ حقّ أو حرّيّة من شأنها أن تلحق ضرراً بالأمن العام.

يظهر الشخص الحاكم أو الهيئة الحاكمة ههنا بكونها سلطة مستبدّة وغير مقيدة بأيّ التزام سوى ضمان السلام. لكن بفضل ذلك أمكّن للناس أن ينتقلوا من حياة الطبيعة المتوحّشة إلى حياة المجتمع السياسي المتّسمة بالأمن

¹⁸ أنظر الفصل السابع عشر من الليفيتان، من الترجمة العربية، مرجع سابق، ص 175.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

والاستقرار والخضوع للسلطة العليا.¹⁹ والبيّن من هذا التصوّر أنّ نظريّة هوبز في الدولة قد اختصرت المجتمع المدني (الجسم السياسي) كلّهُ في حاكم مطلق أو هيئة مستبدّة، في حين تجاهلت حقوق باقي الأفراد بجعلها كامل السلطة بيد جهة واحدة ووحيدة (الحاكم / الهيئة الحاكمة). يُظهر هوبز ههنا تعارضاً بيننا مع أرسطو الذي كان لا يؤمن بنظام الحكم المطلق، حيث لم يكن يثق بحكم الفرد الواحد حتّى في الحالة التي تكون السلطة السياسية بيد الفيلسوف، مادام القانون الضامن الوحيد لنظام الحكم الصالح.

ليس ما يهمّ بالنسبة للفيلسوف هوبز تأسيس الحرية السياسية، لأن ذلك سابق لأوانه، وإنّما تأسيس فكرة الدولة المدنية وفقاً لقوانين العقل الطبيعية كنتيجة لرغبة المواطنين في البقاء والتمتع بالأمن والسلام؛ ومن ثمّ فالجسم السياسي ثمرة للإرادة النابعة من مصلحة الفرد الخاصة ذاتها. إنّها نتاج الفن والحيلة والإرادة الإنسانية التي تقوم على إدراك المواطن لمصالحه الخاصّة والعامة بمعزل عن الحروب والخوف والشروع الدائمة.

أسّس هوبز لرؤية فلسفية جديدة كلّ الجدّة في السياسة والأخلاقية والاجتماع المدني، انطلاقاً من معتقده النظري القاضي بضرورة البحث عن أساس عقلائي للحق والقانون والدولة، والسياسة بصفة عامة.²⁰ وكان بناء الدولة المدنية الحديثة بالنسبة إلى هذه الفلسفة يسير وفق معقولية الحاجة لتخطّي الطبيعة الإنسانية المتوحشة والبدائية التي تهديد كيان الفردي والجماعي معا بالخراب والدمار. ساهم هذا الفرض الفلسفي في تأكيد ضرورة البحث عن نموذج مدني سياسي تعاقدية، تحكمه قوانين العقل الوضعية بدلاً عن الغرائز القابضة في الطبيعة العدوانية للناس وما تفرزه أنانيتهم المحدودة.²¹

¹⁹ لطلما استند أنصار الملكية المطلقة في إنجلترا وفرنسا لويس الرابع عشر إلى هذا التصوّر الفلسفي المحافظ.

²⁰ يميّز هوبز بين فكرة الحق الطبيعي وفكرة القانون الطبيعي؛ فقانون الطبيعة (Lex Naturalis) هو أمر، قاعدة سلوك عامة، أوجدها العقل لمنع الإنسان من عمل أي شيء يدمر حياته أو يجرده من الوسائل لحمايتها أو يحذف ما يعتقد أنه الأفضل لحمايتها. ولأن المهتمين بالموضوع خلطوا ما بين Jus وLex، بين الحق والقانون، فمن الضروري التمييز بينهما. الحق هو الحرية في العمل أو الإحجام عن العمل، بينما القانون يلزم الإنسان بواحد منهما. ولهذا فإن الحق والقانون يختلفان تماماً كاختلاف الواجب والحرية، ويتعارضان في علاقتهما بنفس القضية. المصدر السابق، نفس الفصل.

²¹ حسب هوبز، يقال عن مجتمع أنه تأسس عندما يتفق جمهور من الناس ويتعاهدون، كل واحد مع كل واحد آخر، على التالي: بغض النظر عن الشخص أو المجلس الذي يمنح من قبل الجزء الأكبر من الناس حق تمثيل شخصيتهم جميعاً (أي أن يكون مثلهم)، فعلى كل واحد منهم، سواء صوت مع أو ضد ذلك، أن يصادق على جميع أفعال وأحكام هذا الشخص أو المجلس، وكأنها أعماله وأحكامه وذلك لكي يعيش المتعاقدون بسلام فيما بينهم وفي حماية من الناس الآخرين. أنظر الفصل السابع عشر من الليفيثان.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

ولقد كان مفهوم الجسم السياسي بدايةً نظريةً ومنهجيةً لترسيخ فكرة إنشاء الدولة المدنية من خلال فكرة الحق الطبيعي بدلًا عن الحق الإلهي القروسطية السائدة إلى حدود ذلك الزمان. وقد لزم من فكرته تلك أن يتصرف الحاكم المدني وفق التعاقد المبرم بدلًا من فكرة التفويض الإلهي اللاهوتية الشهيرة في الأنظمة الثيوقراطية السائدة في العصور الوسطى. لذلك، ومصداقًا لهذا التصوّر، أصبحت سلطة القرارات السياسية فيما يخصّ تدبير الشأن العام تُفهم على أنّها تفويض مدني للسلطة المدنية الحاكمة التي هي التعبير الأسى عن إرادة المجموع. فالبيّن إذاً أنّ المنظور الهوبزوي قد جعل سلطة الحاكم للدولة المدنية فوق الجميع، وهذا ما جعلها بمثابة وحش كبير/ تنين يحوز القوّة المطلقة على الأفراد أعضاء هذا الجسم السياسي الذي يهدّدهم بالعقاب الوخيم من العودة إلى حالة الطبيعة. لذلك كان وجود هذا الجسم السياسي الكبير يفسّر وفقًا لمعقولية الحاجة إلى تخطّي الحالة البدائية للكائنات المدنية المُهدّدة لوجودهم.²²

تمكّن هوبز، إذًا، بتأويله الفلسفي للكيفية التي يتأسّس بها الجسم السياسي (الدولة) من تطبيق منهج الفيزياء في السياسة على صنف من الموضوعات المختلفة (المواطن، المجتمع، الرغبات، الميول) من خلال تفسيره العقلاني لدينامية الميول الطبيعية البشرية. بيد أنّه حتى وإن نجح في تطبيق هذا المنهج على الموضوعات السياسية عبر محاكاة أنموذجية الفيزياء في توكي الدقّة، إلّا أنّ في ذلك مجازفةً نظريةً كبيرةً في ذلك العصر؛ حيث من غير الممكن أن يلائم المنهج الآلي موضوعات السياسة والأخلاق المتّسمة بكونها مرنة جدًا، وتشمل مجال السيكلوجيا والمصالح والاعتبارات التاريخية والثقافية.

لذلك سرعان ما أوقعه خلطه بين الوقائع الطبيعية والوقائع التاريخية، دون توكي الحذر من كون الأولى وقائع تجريبية صرفة بينما الثانية أحداث ثقافية إنسانية، في التعميم المخلّ بالمنهج الفيزيائي ذاته. ولقد ظهر ذلك فيما

²² حسب هوبز، يقال عن مجتمع أنه تأسس عندما يتفق جمهور من الناس ويتعاهدون، كل واحد مع كل واحد آخر، على التالي: بغض النظر عن الشخص أو المجلس الذي يمنح من قبل الجزء الأكبر من الناس حق تمثيل شخصيتهم جميعًا (أي أن يكون مثلهم)، فعلى كل واحد منهم، سواء صوت مع أو ضد ذلك، أن يصادق على جميع أفعال وأحكام هذا الشخص أو المجلس، وكأنها أعماله وأحكامه وذلك لكي يعيش المتعاقدون بسلام فيما بينهم وفي حماية من الناس الآخرين. أنظر الفصل السابع عشر من الليفيتان.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

بعد، عندما تبين أنه ليس صحيحا التعامل مع الوقائع الاجتماعية والسياسية كما لو أنّها فيزيائية ميكانيكية
صرفة.²³

ورغم كونه يستحق لقب فيلسوف فيزياء الطبيعة البشرية من حيث كونه استطاع أن يسحب منهج الفيزياء
الناشئة على نوع مختلف من الموضوعات (السياسية والأخلاقية)، كما لم يسبقه إلى ذلك أحد، إلاّ أنّه أمكن
للقارئ الناقد معارضة منهجه الآلي المتطرّف. ولقد حاول الفلاسفة الذين أتوا بعده، خاصة مع كانط، القول
باستقلال مجال السببية الطبيعية (الظواهر الطبيعية) عن المجال السياسي والأخلاقي على اعتبار أنّ المجال
الأخلاقي هو محلّ القول السببية الغائية بامتياز (الحرية) وليس الطبيعية.

وكيف ما كانت الانتقادات الممكنة توجيهها لهذا الفيلسوف، إلاّ أنّه قد تمكّن من استخلاص النتائج السياسية
والاجتماعية للثورة الكوبرنيكية، خاصّة في بعدها الديكارتي الناشئ مطلع القرن السابع عشر. تأتي ذلك بعدما
تمكّن الفكر العقلاني من تحييد الاعتبارات الدينية اللاهوتية في تعريف الإنسان، لصالح اعتباره ذاتا واعية في
مقابل العالم الذي هو موضوع لها.

لقد جسّدت أفكار هوبز السياسية الانقلاب المنهجي للثورة العقلانية المنهجية للعصر الحديث على العصور
الوسطى. لذلك كانت نظريته للسياسة المدنية نظرة موضوعية طبيعية آلية، حيث اعتبرت الإنسان مجرد كائن
طبيعي يسري عليه ما يسري على باقي الكائنات الأخرى في مملكة الطبيعة. تلك كانت دلالات تأسيس السياسة
تأسيسا عقلانيا نظريا ومنهجيا في فلسفته الجديدة بالنسبة لعصره. لكن ماذا عن دلالة ذلك بالنسبة لثقافتنا
التي لازالت تعتبر تصوّر الديني أساسيا للتنظير للممارسة السياسية؟

2. في الأهمية التاريخية لنموذج توماس هوبز للسياسة وفي فائدته لثقافتنا

انسجاما مع الإشكالية السابقة، فإنّ ما يخصّنا في قراءة هذه الدلالة التاريخية، هو بحث ما إذا كان لنظرية هوبز
من دلالة وفائدة تاريخية بالنسبة للحالة الثقافية العربية التي نحن بصدد تشريحها ونقدها. الواقع أنّ لهذا

²³Ibid, p.19.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

النموذج أكثر من فائدة ودلالة يمكن استفادتها من تصوّرات هذا المفكر الحديث؛ فحتى لو سلّمنا بوجود نماذج نظرية للسياسة من تاريخنا وثقافتنا العربية (الفارابي، ابن رشد، ابن باجه، ابن خلدون.. الخ)، إلا أنّ لتصوّرات هذا الفيلسوف راهنية لا تكتسبها أفكار هؤلاء النظّار المسلمين. فكيف ذلك؟

للتدليل على ما نزعمه هنا، علينا الاعتراف بدايةً بأنّ نظرة هوبز للسياسة والاجتماع إنّما هي نظرية صادرة عن البراديغم الحديث الناشئ عن الثورة العلمية للعصر الحديث في بعديها: الفلكي الكوبرنيكي والفيزياء الديكارتي. بينما، بالمقابل، انحصرت النظريات الفلسفية العربية الكلاسيكية في طار البراديغم الأرسطي المتجاوز نظريا ومنهجيا في سياق العقلانية السياسية الحديثة. وعليه، فإنّنا لا نستطيع معاندة منطق تقدّم العقل والتاريخ بدعوى أفضلية التراث والتقليد الإسلامي للسياسة كما يمكن تخمين ذلك لدى من يفضّل تقاليد الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية على الحداثة السياسية.

يقطع هذا التمييز المنهجي الشك باليقين في كون تأسيسية هوبز للسياسة أكثر راهنية من طرق تأسيسها النظري في الثقافة الإسلامية. وإذا تقرّرت لدينا هذه القناعة المنهجية، نكون قد حسمنا مع فكرة استنبات وتأصيل مفهوم الدولة، كما أسّست لها نظرية التعاقد الاجتماعية الحديثة التي تدين بالريادة لهوبز²⁴ قبل جون لوك وروسو. فقد وضع هذا الأخير مفهوم السياسة على طاولة البحث النظري الفكري الجديد الذي تمكّن من خلاله من تجاوز المنظورات الغائية للحياة المدنية لدى المنظرين القدامى: أفلاطون، أرسطو، أوغسطين، الأكويني، وباقي الكلاسيكيين.²⁵

ولئن سبق المنظر غروتوس إلى التنظير لفكرة الحق الطبيعي، إلا أنّ هوبز، في مقارنته الفلسفية لهذا المفهوم، بقي أصيلا غير مقلّد لغيره، ولا مكرّر لأحد من السابقين. وقد توسّل في ذلك المنهجية الفيزيائية في تحليل ومناقشة الظواهر الاجتماعية والسياسية، سواء من حيث القدرة على ربط منهج الفيزياء ومتطلبات تحليل موضوعات

²⁴ صالح مصباح: فلسفة الحداثة الليبرالية الكلاسيكية: من هوبز إلى كانط؛ نشرة جداول، الطبعة الأولى، بيروت، 2011، ص 12.

²⁵ Jean Bernhardt : Hobbes ; PUF, 2eme édition. Que sais-je, Edition Delta, Paris, 1994, p.26.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

أخلاقية واجتماعية إنسانية، أو من حيث طريقة استقراء وتركيب الموضوعات السياسية وربطها بالواقع المعاش للناس.

إنّ الدرس المستفاد من هذه المحاور النظرية التي تنتهي اليوم إلى تاريخ الأفكار، نظرا لمختلف التجاوزات والتعديلات التي طالتها من طرف المفكرين الذين أتوا بعده، هو أنّ التفكير في السياسة لا يلزمه، بأي حال من الأحوال، أن ينطلق من تصوّر ديني مسبق حول شكل التنظيم السياسي المفترض قيامه بين الناس وذلك لسبب منهجي محض، كامن في البعد الاصطناعي للدولة، من حيث هي جهاز "اصطناعي" متفق حوله لتنظيم الشؤون المدنية بنقل الناس من حالة الفوضى والشتات إلى حالة النظام بداعي حفظ المصلحة العليا.²⁶

تتناهى هذه الصبغة التقنية مع التصورات اللاهوتية الغائية التي تربط بين الدولة والإرادة الإلهية، أو قل بين الحق السياسي والحق الإلهي. تجاوزا للفكرة الدينية التقليدية حول الحق الإلهي التي ارتكنت إليها الملكيات المطلقة في أوروبا، حاول هوبز أن يبرز أنّ الجسم الاجتماعي والسياسي الذي تجسّده الدولة من اختراع الناس، كما أنّ وحدة الشعب وتكتله وإرادته ليست مسألة طبيعية، وإنّما هي حصيلة قرار جماعي تعاقدي اتفقي. هذا ما سعى هذا الفيلسوف تأكيده لعصره حتى يمكّنه من تجاوز حالة الركون للتصورات الدينية حول الممارسة السياسية.²⁷

شكلت تأسيسية هوبز للدولة المدنية فتحا نظريا ومنهجيا للنماذج التفسيرية الأخرى للسياسة المدنية التي أتت فيما بعد. لذا، ظهرت بعده بقليل تصورات عقلانية أخرى أكثر عمّقت أطروحته في المسألة السياسية، كنظرية جون لوك في الحكومة المدنية، ونظرية روسو للتعاقد الاجتماعي، وآخرون. لكن، مع ذلك، تبقى محاولة هوبز ثورة منهجية على التصورات الكلاسيكية للسياسة، حيث أضاف إلى تصوّر ميكافيلي السابق عليه فكرة كون القوانين العقلية ضرورية لفصل المنهجي بين الغائية الساذجة والسببية النافعة لتسيير الحياة الاجتماعية والسياسية.

لقد ارتدّ هوبز إلى الذات لفهم طبيعة الإنسان، فكانت نظريته في الدولة محاولة لتقديم تصورات منهجية علمية للتغيير والتطوّر في أفق تكوين تعاقد سياسي يقوم على قوانين العقل الطبيعية القادرة على إنشاء جسم سياسي

²⁶ صالح مصباح: فلسفة الحدّثة الليبرالية الكلاسيكية، مرجع سابق، ص 90.

²⁷ نفسه، ص 15.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

يجد فيه الجميع مصلحته. كان لهذا التأسيس ما بعده (لوك، روسو، كانط، مونتيسكيو) حيث تطوّرت فكرته لتصبح نظرية سياسية أخلاقية وحقوقية في عصر الأنوار. وقد تجلّى لديه بوضوح هذا التعاطي الجدلي ما بين السياسة والعقل فجعله يرفض فكر اللاهوت الميتافيزيقي القاصر على إدراك حقيقة الفعل السياسي بما هو ممارسة عقلانية للحياة الاجتماعية والأخلاقية.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

على سبيل الختم

البين من العرض السابق لتأسيسية هوبز للدولة المدنية أنّ أهميّة الاستعانة بالحس التاريخي النقدي لفهم ومقاربة موضوع السياسة ومفهوم الدولة بالخصوص يعدُّ أمراً ضرورياً لتجاوز التخلُّف السياسي الذي نعيشه. ولقد اتضح لنا من خلال التأويل السابق لنموذج هوبز أهميّة الأخذ بالفكر النظري العقلاني، العلمي بالخصوص، لبحث موضوعات السياسة ومقاربتها بالرغم ممّا قد يطرحه ذلك من مشكلات ابيستيمولوجية معقدة.

لذلك، نعتبر قراءة تجربة هوبز الفلسفية في تأسيس مفهوم الدولة المدنية على ضوء حاجتنا الثقافية الراهنة، هي بمثابة مغامرة يلزمها الاحتياط حتى لا تقع في الإسقاط المختزل لتجربة فكرية توقّرت شروط معيّنة فنضجت. بيد أنّ ذلك لا ينبغي أن يحول دون الاستفادة منها منهجياً بالخصوص من حيث هي تجربة نظرية تأسيسية قد تفيد الباحث والدارس على فهم لماذا استعصى عندنا في حالتنا الثقافية تسوية سؤال الدولة المدنية من غير المدنية (الدينية والطائفية والعسكرية والشمولية..).

والمستشفُّ من كلّ ما سبق، هو أنّ سرّ النقد الذي ميّز أفكار هذا الفيلسوف بالمقارنة مع منظري السياسة الكلاسيكية (أفلاطون وأرسطو)، يكمن في رفض أن يكون الإنسان حيواناً سياسياً بالنسبة لفكرة التعاقد السياسي والحالة المدنية. في مقابل ذلك عزّز فكرة أنّ الإنسان هو صاحب الإرادة السياسية في تجاوز قصور حالة الطبيعة على تحقيق الواقعة السياسية (الدولة) الممكن الاطمئنان إليها. إنّ الدرس المنهجي المستفاد من فكر هذا الفيلسوف. وهذا ما نعتقد أنّه الدرس الذي يهّمنا في الحالة العربية بالخصوص، قصد الانتقال إلى تأسيس مفهوم تقدّمي للدولة المدنية، بما يمكننا من تجاوز مركزية الحاكم والشيخ والزعيم، وكذا مختلف السُّلط اللاهوتية والثيوقراطية التقليدية التي تستبدّ بنا في واقعنا الاجتماعي والسياسي.



دلالات تأسيس الدولة المدنية في فكر توماس هوبز السياسي: أو في الرّهان النظري للسياسة الحديثة

المصادر والمراجع

❖ باللغة العربية

- ارنست كاسيرر: الدولة والأسطورة، ترجمة أحمد حمدي محمود، المكتبة العربية، والهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- إميل برييه: تاريخ الفلسفة، القرن السابع عشر، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1993.
- بيير فرانسوا مورو: هوبز: فلسفة، علم، دين، ترجمة أسامة الحاج، ط الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1993.
- توماس هوبز: الليفيتان، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، الطبعة الأولى، منشورات كلمة ودار الفارابي، بيروت، 2011.
- جون جاك روسو: أصل التفاوت بين الناس، ترجمة بولس غانم، منشورات اللجنة اللبنانية، بيروت، 1972.
- حنة ارندت: في العنف، ترجمة إبراهيم العريس، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت، 1992.
- سالم يفوت: الفلسفة والعلم في العصر الكلاسيكي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، سنة 1990.
- عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.
- عبد الرحمن بدوي: فلسفة القانون والسياسة. الطبعة الأولى، وكالات المطبوعات في دولة الكويت، توزيع دار القلم في بيروت سنة 1979.



- ليو شتراوش وجوزيف كروبسي: تاريخ الفكر السياسي، ترجمة محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

- صالح مصباح: فلسفة الحداثة الليبرالية الكلاسيكية: من هوبز إلى كانط؛ نشرة جداول، الطبعة الأولى، بيروت، 2011.

❖ المراجع باللغة الفرنسية:

- Alain de Libera : Archéologie du sujet ; éd Vrin. Paris, 2010.
- Elisabeth Clément et autres : La philosophie de A à Z. Hatier, Paris 2000.
- Ernest Cassirer : La philosophie des lumières, tr Pierre Quillet, éd Fayard, Paris, 1966.
- Jaques Chamberland : Le cantus chez Hobbes, thèse de doctorat en philosophie, in Université de Montréal, Avril, 1999.
- Jean Bernhardt : Hobbes ; PUF, 2eme édition. Que sais-je, Edition Delta, Paris, 1994.
- Hans Blumenberg: La légitimité des temps modernes; traduction de l'allemand par: Marc Sagnol, J. Louis Schlegel et Denis Trierweiler ; éd Gallimard, 1999.
- Soraya NourSckell: La justice cosmopolitique, thèse de Doctorat, Université Paris ouest Nanterre ; 13 décembre 2012.
- Thibault Jean François: entre intériorité et extériorité: l'aporie constitutive de la pensée politique moderne; les presses de l'université laval, 2009.
- Thomas Hobbes: De La Nature humaine, tr de l'anglais : baron D'Holbach, éd Dar Alharf, 2007.
- Thomas Hobbes: Léviathan, tr Gérard Mairet ; éd Gallimard, F. essais, 2000.



- Thomas Hobbes: Léviathan, Chapitres 13 à 17, traduit de l'anglais par Gérard Mairet; dossier et notes réalisés par BenoîtSchneckenburger; lecture d'image par Christine Cadot, folioplus. Philosophie: 17ème siècle (Paris: Gallimard, 2007).
- Thomas Hobbes : Le citoyen, tr samuelSorbière, 1642, éd électronique, à Chicoutimi, Québec. 10 mars 2002.

❖ المعاجم:

- Dictionnaire de philosophie, Christian Godin, Paris, Fayard, 2004.
- Dictionnaire de philosophie, Noëlla Baraquin, Paris, Armand-Colin, 2007.

❖ المقالات العلمية:

- François Dugré: Fictions anciennes et modernes du politiques; Tangence, N 63, 2000.